

- 69 - رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن: أنزل القرآن على سبعة أحرف، مسند الإمام أحمد، ج5، ص 41، 51 - 114 - 122 - 124 طبعة الحلبي، سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، والنسائي (150/1).
- 70 - صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب: بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف.
- 71 - القراءات في نظر المستشرقين، ص 84.
- 72 - سورة البقرة - الآية: 23 - 24.
- 73 - بلاشير: القرآن، ص 41.
- 74 - محمد غلاب، نظرات استشرافية في الإسلام، ص 32 - 33.
- 75 - الغارة على العالم الإسلامي، أ.ل. شاتليه، ترجمة محي الدين الخطيب، ومساعد اليافى، ص 35، مكتبة أسامة بن زيد، بيروت - لبنان.
- 76 - راجع: الدكتور البهي: الفكر الإسلامي الحديث، ص 612 وأيضاً ص 556-608.
- 77 - راجع: الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص 98.
- 78 - سورة النحل - الآيات: 3 - 4 - 5.
- 79 - سورة النحل - الآية: 16.
- 80 - سورة الأنعام - الآية: 3 - 4.
- 81 - راجع: التغريب في الفكر والسياسة والإقتصاد، ص 16 وما بعدها محمد سليم قلالة، دار الفكر - دمشق - الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م.
- 82 - ارنست رينان - المؤلفات - في محمد وقبيلتي - العلوم الإنسانية والأيدولوجية، ص 146 - 149، دار الطليعة، طبعة أولى سنة 1983 م.
- 83 - ذكر من طرف البرت حوراني، الإسلام وفلاسفته في التاريخ، في «ادوارد سعيد، المرجع السابق، ص 168.
- 84 - سورة النمل - الآية: 64.
- 85 - سورة الأحقاف - الآية: 4.
- 86 - سورة الأنعام - الآية: 149.
- 87 - رواه الشيخان وأحمد عن أبي هريرة.
- 88 - راجع - الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص 182.
- 89 - سورة الأنفال - الآية: 42.
- 90 - سورة الإسراء - الآية: 9.
- 91 - راجع مزيداً من التفصيل في: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص 275.
- 92 - انظر: شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، ص 404.
- 93 - سورة المجادلة - الآية: 21.
- 94 - سورة محمد - صلى الله عليه وسلم - الآية: 38.

## الإنسان والزمان في القرآن الكريم

أ/د. عبد الكريم بكر  
مدير المعهد الوطني للتعليم  
العالى للحضارة الإسلامية - وهران

ينطلق مسار هذه الدراسة العاجلة من نظرة القرآن الشاملة لمكانة الإنسان في هذا الكون وبالمهمة الجليلة التي انيطت به، اذ هو الكائن الوحيد المسؤول المكلف في هذه الأرض لأن الله أودع فيه الصفات التي تقربه من الكمال إذا أراد ذلك.

إن مكان الإنسان - كما يقول العقاد بحق - هو أشرف مكان له في ميزان العقيدة، وفي ميزان الفكر، وفي ميزان الخليقة التي توزن بها طبائع الكائن بين الكائنات، إلى أن يقول في خلاصة مؤداها أنه (أي الإنسان) كائن أصوب في التعريف من قول القائلين: الكائن الناطق، لأن الكائن الناطق ليس بشيء إذا لم يكن أهلاً لمكانة التكليف. والتكليف عند العارفين قائم على أركان أهمها: التبليغ، والعلم، والعمل.

ويقول السيد قطب في شرح قوله تعالى: «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا اتجعل من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون، وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال اتبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين».

### يقول وهو يشرح هذه الآية:

وإذن فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض وتطلق يده، وتكل إليه إبراز مشيئته في الخلق والإبداع، والتكوين، والتركيب، والتحويل والتبديل إلى أن يقول: وإذن فهي منزلة عظيمة منزلة الإنسان في هذا الوجود. وتتبدى القيمة الكبرى التي يعطيها

التصور الإسلامي، في الإعلان الجليل في الملأ الأعلى الكريم أنه مخلوق ليكون خليفة في الأرض، كما تتبدى في أمر الملائكة له بالسجود. ولقد ارتبطت مسميات الإنسان في القرآن بمعاني التكليف والرشد والأمانة والعلم والعمل والتبليغ، والجدل والمغالبة.

ولسنا نساير الاتجاه الذي يذهب إلى أن كلمة "الإنسان" لا تذكر في القرآن إلا مقرونة بالخسران والشقاء والضعف، والغواية.

كما لا نتفق مع ما ذهب إليه بعض المفسرين في تفسير سورة العصر من أن الإنسان خاسر وإن أنفق عمره في الطاعات والعبادات لأن الطاعات والعبادات في رأيهم لا يمكن الإتيان بها على أحسن وجه لأن مراتب الخشوع غير متناهية. وإن جئنا نقراً - على سبيل المثال كلمة الإنسان في سورة العصر في ضوء ما تزودنا به مائدة القرآن من معارف موضوعية اعجازية لغوية. إذا فعلنا ذلك نجد أن كلمة الإنسان هنا أو بالأحرى الأداة "ال" فيها وإن كانت دالة على الجنس، فإنها لا تفيد التعميم المطلق، أو التغليب المرجح لأنها مقيدة بأحدى أدوات التخصيص وهي أداة الإستثناء "إلا" ومن المعلوم أنه يجوز في اللغة العربية وعند بعض الأصوليين استثناء القليل من الكثير كما يجوز استثناء الكثير من القليل، فتقول عليّ عشرة إلا ديناراً أو عشرة إلا تسعة أي «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات». إلى آخر الآية ليسوا بالضرورة أقل عدداً من الخاسرين وإن جاء ذكرهم بعد أداة الإستثناء، وفي القرآن ما يفيد استثناء الكثير من القليل وذلك في قوله تعالى: «يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً»<sup>(1)</sup> حيث أوّل بعض المفسرين مؤدّي كلام الله تعالى إلى: قم الليل إلا نصفه أو أقل من نصفه، أو أكثر من نصفه أي قم الليل إلا ثلثيه وذلك بتقدير نصفه يدل من قليل، ومن ذلك ما ثبت في الصحيح من حديث أبي بكر - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ عن رب العزة يا عبادي كلّم جائع إلا من اطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلّم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم.<sup>(2)</sup>

## وقال الشاعر:

أدوا التي نقصت تسعين من مائة \* ثم ابعثوا حكما بالحق قوالا<sup>(3)</sup>

ولقد وردت مادة الخسر أربعة وستين مرة في القرآن الكريم تفيد أغلبها (لأن أقلها يدل على الخسران التجاري) على أن كلمة الخسران إنما تنصرف إلى فريق مخصوص محدد من الناس من ذلك قوله تعالى: « قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة »<sup>(4)</sup> « ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين »<sup>(5)</sup> « ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة »<sup>(6)</sup> « قل هل انبئكم بالآخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا »<sup>(7)</sup>.

وبقراءة سورة العصر انطلاقا من خلفية قرآنية بحثة نجد أن مؤدى آياتها هو ان الله خلق آدم فجعله فريقين وهده النجدين، فريقا هدى وهو الفريق الصالح الذين وصفهم بالإيمان والتواصي بالحق والصبر. وفريقا حقت عليهم الضلالة وهو هذا الفريق الذي خسر خسارنا مبينا. وبهذه القراءة القرآنية الشاملة ينبغي أن نستقرئ ونستنتج مكانة الإنسان في كل السور القرآنية التي وردت فيها وهكذا وفي ضوء تلك القراءة فإننا نجد أن نظرة القرآن للإنسان قائمة على حث الإنسان على الإقبال على الحياة والجد فيها ... ومع ان الحياة فانية فإن الإنسان مطالب بأن تكون نظرتة للوجود متصلة شاملة للحياة وما بعد الممات لأن الوجود كلّ لا يتجزأ، فالإنسان موجود في هذه الأرض للإضطلاع بمهمة، وتحمل أمانة، فلم يخلق في هذه الدنيا عبثا وسيسأل عن عمره فيما أفناه.

وهكذا لم يعد الزمن الماضي أحقابا وأحداثا تائهة في بحر الزمان تثير مشاعر الفقدان والحسرة على نحو ما يصفه الشعر الجاهلي حيث وقف شاعرهم على الإطلال فبكى واستبكى واعتقل آماله ومشاريعه في بوثقة ثلاثية، الأمس، واليوم، والغد لأن الموت عندهم وكما جاء في شعر الجاهليين - دائما - يصور الموت على أنه العدمية التي لا مفر منها. فأصبح الزمن عندهم رمزا للفناء إذ هو في زعمهم يمضي بالإنسان إلى نهايته قال أحد شعرائهم:

ماذا تبتغي من بعد هذا عيشة \* إلا الخلود ولن تنال خلودا

ان طول الحياة غير سعاد \* وضلال تأميل طيول خلود<sup>(8)</sup>

حيث نظرة إلى الخلود على أنه اتصال الحياة وامتداد العمر بالإنسان

وقال الآخر:

هل الدهر إلا اليوم أو أمس أو غد \* كذلك الزمان بيننا يتردد<sup>(9)</sup>

غير ان الإسلام جعل لكل ما تم من الأفعال الماضية وجودا ثابتا محفوظا

في كتاب الأعمال عند يوم الحساب.

قال تعالى: «ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا»<sup>(10)</sup>.

وقال عز وجل: «إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم ، وكل شيء

أحصيناه في إمام مبين»<sup>(11)</sup>.

ويرى علماء الإسلام في العصر الحديث ان فكرة الماضي في الإسلام تتعلق

بالخبرة التي هي رمز للشعور المائل لضمور المغزى ولا تتعلق بالحسنة التي هي

رمز للضياع. قال تعالى: «لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم».

ويقول عباس محمود العقاد، وهو يعلق على الإيديولوجيات المختلفة ان

أجوبة الإيديولوجيات على أسئلة الإنسان مهما تكن، فهي أجوبة العصر التي

تحل المشكلة الزمنية ولا تتعدها إلى مشكلة الأبدية، مشكلة ما مضى، وما أتى

من الدهر. وما يأتي إلى غير نهاية ولا جواب لهذه المشكلة غير العقيدة

الإسلامية<sup>(12)</sup>.

حيث نجد أن المستقبل في الإسلام هو افزع من كل معاني التساؤل فمنها

كانت المدة التي يقضيها الإنسان في هذه الدنيا طويلة، فإننا ليست بشيء إذا

قيست بزمان الدار الآخرة من ذلك قوله تعالى: «وإن يوما عند ربك كألف سنة مما

تعدون»<sup>(13)</sup>.

«تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»<sup>(14)</sup> ومن ذلك

قوله تعالى مبينا حال الناس في يوم الحساب وقد وجدوا أنفسهم أمام ما

وعدوا به في الدنيا. «كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها»<sup>(15)</sup>.

ويبدو انسياب الزمن في القرآن الكريم وكأنه كيان واحد تتهاوى فيه الجدران التي تفصل بين الماضي والحاضر، وبين الحاضر والمستقبل وتتعانق هذه الأوقات في نقطة مصيرية واحدة تبدأ من الحاضر لذلك نجد أن الأزمنة تتداخل وتتعايش بفضل هذا الانتقال السريع الذي يحدث في القرآن بين مختلف الأزمنة. إذ تبدو حركة التاريخ منذ خلق الله السموات والأرض وكأنها انطلاقة أبدية طويلة وبعيدة قصيرة.

وبما أن الحياة أحداث وأفعال فإنه يجدر بنا أن نتبين كيف تم اللقاء بين الحاضر والمستقبل في مقام اعجازي قرآني. من ذلك عرض مشاهد القيامة في صورة توحى لك بأنك أمام هذا المشهد فإذا أنت تواجهه، وتعيشه وإذ بالأحداث المستقبلية تبدو كأنها واقعة فعلا أمام ناظريك. من ذلك قوله تعالى: «فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نظرة وسرورا، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا»<sup>(16)</sup>. حيث تحتضن صيغ فعلية ماضية (وقى لقي جزى) حوادث مفرقة في الاستقبال فيحدث الحضور ويتمحق المثل ويترجع الزمن الدينيوي. وقد تكتفي ومضة أو لمحة أو إشارة ليحمد القارئ أنه ينتقل من زمن ماض، أو حاضر إلى زمن استقبالي بعيد فما أن تصدر الجملة لفظة مثل "يوم" أو "ساعة" حتى يبعث الموضوع والمقام كله إلى زمن يوم القيامة. قال تعالى: «يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا، إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم. كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا فكيف تنقلون إن كفرتم يومنا يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا»<sup>(17)</sup>. حيث تعرض علينا هذه الآيات إلا البيئات مشاهد القيامة الرهيبة، فترجف الأرض والجبال وهي مستقبل بعيد جدا، ثم تنتقل في لمحة إلى الماضي السحيق، حيث يعصى فرعون موسى الرسول، ويلقى جزاءه، وها نحن نعود إلى العصر الحاضر لننتقل في العبرة والتذكير لمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا: إنها النظرة الإسلامية المتمثلة في عقيدتها التي تفتح المجال واسعا أمام الناس لأنها ترتبط بالواقع، كما ترتبط بعالم الغيبيات وتلبي حاجة

الإنسان إلى البحث عن الحقيقة إلى الصراع مع عوامل الهدم، إلى النضال الدائم للتغيير نحو الأفضل، وإلى معطيات الأمن والاستقرار، وإلى فردوس يحقق الأمن والاستقرار للذات التي فقدت الأمن والاستقرار. (18)

ولقد صور الشعر الإسلامي كيف بدأ المؤمنون يتجاوزون ذلك الحيز الضيق من الزمن الذي حبسته فيه الجاهلية إلى زمن أرحب أفقا وأبعد مدى يستوعب تطلعات الإنسان إلى آفاق الفضيلة والمثل العليا يقول بجير بن زهير وهو يسجل انسلاخه من الوثنية واهتدائه إلى الإسلام.

**إلى الله - لا العزى ولا اللات - وحده \* فتنجوا إذا كان النجاء وتسلم  
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلى \* من النار إلا طاهر القلب مسلم**

وعندما يرثي حسان بن ثابت سيدنا حمزة عم النبي ﷺ فإنه يرتفع بشعره إلى معان سامية وينتقل إلى عالم آخر وزمن آخر لا يدركه الأميون من قريش.

**وإن جنان الخلد منزله بها \* وأمر الذي يقصص الأمور شريع** (19)

ومن الشعراء البارزين الذين صاغوا الرؤية الإسلامية للزمن في صورته الشاملة المتكاملة حكيم المعرة وشاعرها أبو العلاء المعري حيث استطاع بما أوتي من قدرة على مخاطبة العقل وإقناعه والإتصال بالوجدان والتأثير فيه أن ينظر إلى الزمن الدنيوي من مقام علوي صوفي، ومن زاوية عقيدة إسلامية فاستصغره بالقياس إلى الزمن الأبدي الأخروي، الزمن الذي تتلاشى فيه كل الأوقات الصغيرة البسيطة التي يحياها الإنسان. أما الموت فما هو إلى عفوة بهذا الجسم فيها نفسه ليوصل رحلته إلى عالم الخلد.

**تعب كلها الحياة فما أعد \* جب إلا من راعب في ازدياد  
خلق الناس للبقاء فظلت \* أمة يحسبونهم للشقاء  
إنما ينقلون من دار أعمال \* إلى دار شقوة أو رشاد  
ضجعة الموت رقدة يستريح \* الجسم فيها والعيش مثل السهاد** (20)

## الهوامش والمصادر والمراجع

- 1- سورة المزمل - الآية: 1-2-3-4.
- 2 - انظر الحديث.
- 3- أنظر البيت في مباحث التخصيص عند الأصوليين والنحاة، ص 120 - الإسكندرية ج.م.ع. د.ت.
- 4 - سورة الزمر - الآية: 15.
- 5 - سورة المائدة - الآية: 5.
- 6 - سورة الحج - الآية: 11.
- 7 - سورة الكهف - الآية: 103 - 104.
- 8 - الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي، د/حسن عبد الجليل، ص 22-23 - مكتبة النهضة - القاهرة، ص 39، ط 1 - 1983.
- 9 - ديوان حاتم الطائي، ص 262، عن المرجع السابق.
- 10 - سورة الكهف - الآية: 49.
- 11 - سورة يس - الآية: 12.
- 12 - الإنسان في القرآن الكريم عباس محمود العقاد، ص 5 - دار النهضة - مصر للطباعة والنشر.
- 13 - سورة الحج - الآية: 47.
- 14 - سورة المعارج - الآية: 04.
- 15 - سورة النازعات - الآية: 46.
- 16 - سورة الإنسان - الآية: 11-12.
- 17 - سورة المزمل - الآية: 14-19.
- 18 - مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، د/عبد الباسط بدوي، ص 39 - دار الخار - السعودية، ط 1 - 1989.
- 19 - أنظر الأبيات في الأدب في موكب الحضارة الإسلامية: د/ مصطفى السكاك، ص 62 وما بعدها - مكتبة الإنجلو المصرية 1968.
- 20 - سقط الرند - دار بيروت للطباعة، ص 8 - دار بيروت للطباعة والنشر 1980.